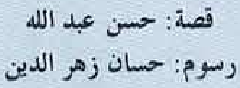
الدراجة الزرقاء



قصة: حسن عبد الله

رسوم: حسان زهر الدين





صدر منها:

- يوم خارج المدرسة.
(تأليف حسن عبدالله)
- الأقرع.
(تأليف حسن عبدالله)
- لماذا سكت النهر.
(تأليف زكريا تامر)
- قالت الوردة للسّنونو.
(تأليف زكريا تامر)
- على أبواب الصين.
(تأليف حسن عبدالله)
- الجمل الجميل.
(تأليف حسن عبدالله)
- الدراجة الزرقاء.
(تأليف حسن عبدالله)

الدراجة الزرقاء

al-hadaek@idm.net.lb



لبنان، بيروت
ص.ب: ٢١٦/٢٥
هـ: ٨٤٠٣٨٩ ١ ٩٦١ +
ف: ٨٤٠٣٩٠ ١ ٩٦١ +

الدرّاجة الزّرقاء



قصة: حسن عبد الله
رسوم: حسان زهر الدين



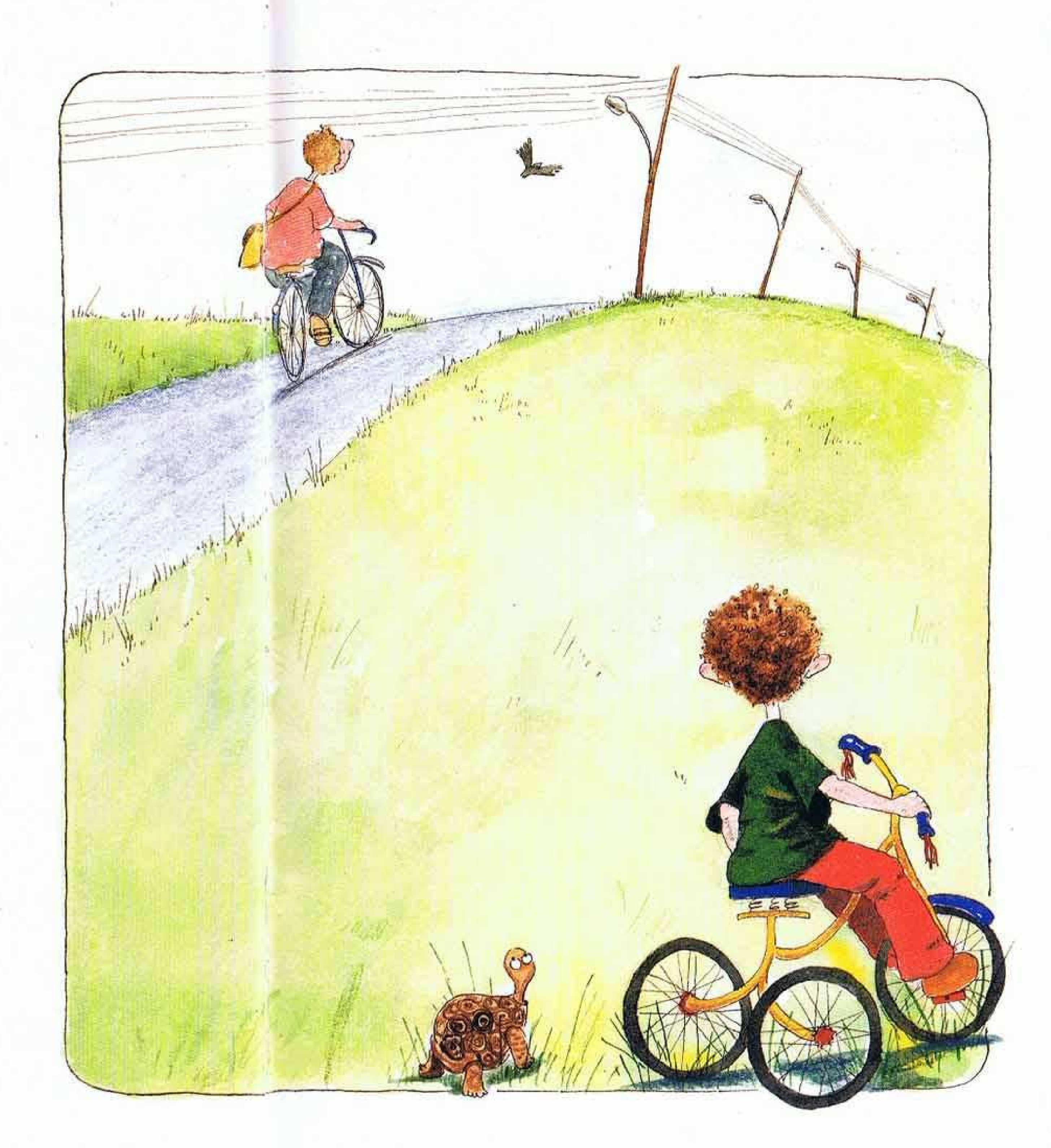
الطبعة الأولى ٢٠٠٤

دُهِشْتُ دهشةً كبيرةً عندما شاهدتُ لأوَّلِ مرَّة، شخصاً يقودُ درَّاجةً بعجلتين. ورُحْتُ أتأمَّلُهُ وأنا لا أُصدِّقُ ما أرى.

كنتُ، في صِغَري، أقودُ درَّاجةً بثلاثِ عجلات. وكانتْ قيادةُ مثلِ هذهِ الدرَّاجةِ سهلةً جدّاً، لا تعرِّضُ صاحِبَها للخطرِ. أمّا الدرَّاجةُ ذاتُ العجلتينِ فقدْ بَدَتْ لي قِيادَتُها محفوفةً بالأخطارِ، فلمْ أُفكِّرْ في اقتنائِها أبداً..

لكنَّكَ تفكِّرُ أحياناً بشيء، ثمَّ يحدُثُ ما يَجعلُك تقومُ بعكسِ ما تفكِّرُ به.

ففي صباحِ أحدِ أيّامِ العطلةِ، دعاني صَديقي كريمٌ، الَّذي كانَ يقودُ درَّاجةً بعجلتينِ، إلى الصعودِ إلى ظهرِ درَّاجتهِ، فرفضتُ، فألحَّ في طلبِه، فاستجَبْتُ لهُ بعدما قدَّرْتُ أنْ أُجرِّبَ رُكوبَ الدرَّاجةِ لمرَّةٍ واحدةٍ فقط.



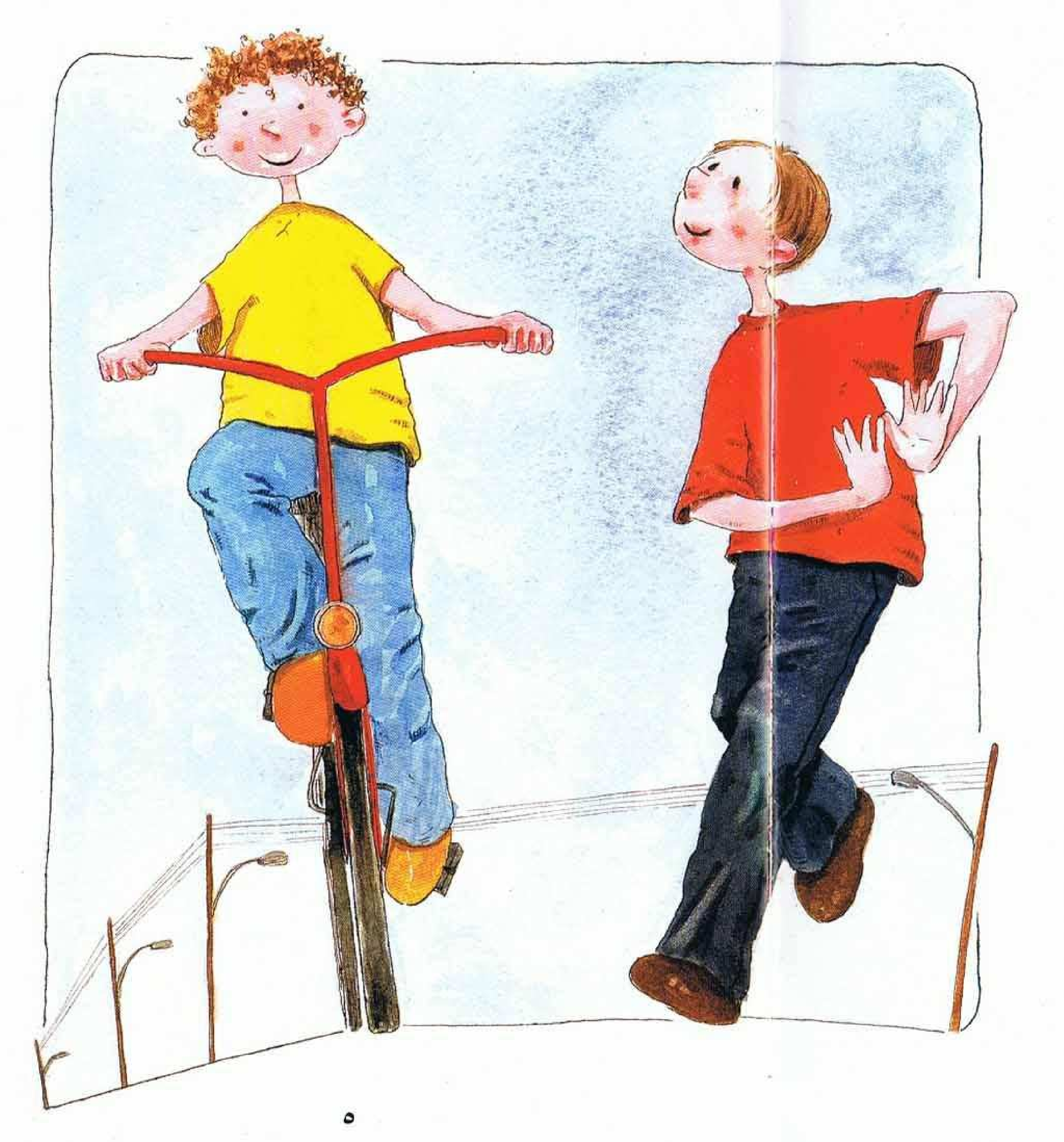
عندما استقرَرْتُ فوقَ ظهرِ الدَّرَّاجةِ، أَمْسكَ كريمٌ مِقْوَدَها بيدٍ، وأمسكني مِنْ ذراعي باليدِ الأخرى، ومَشَيْنا على مهلٍ، أنا وهوَ والدَّرَّاجةُ.

وجدتُ ذلكَ مُمْتِعاً.. فلمْ أرفضْ تكرارَ المُحاولةِ. ثمَّ لمْ ألبَثْ أنْ عزمتُ على تعلُّمِ ركوبِ الدَّرَّاجةِ.

كانَ كريمٌ يُمْسِكُني في البدايةِ، ويُمْسِكُ الدَّرَّاجةَ كلَّما اعتلَيْتُها ليُحافظَ على توازُني وتوازُنِها، ثمَّ تركني ذاتَ مرَّةٍ وحيداً فوقَ ظهرِها، فانْسابَتْ بي في خطٍّ مستقيمٍ، فشعرتُ بفرحٍ كبيرٍ، وامتلأتُ ثقةً بنفسي.

ثابرَ كريمٌ على تدريبي، وثابرتُ على التَّقدُّمِ، حتَّى أصبح باستطاعتي الثباتُ فوقَ ظهرِ الدَّرَّاجةِ لمسافةٍ طويلةٍ، ومِنْ دونِ مُساعدةِ كريمٍ، الَّذي كانَ يكتفي بالرَّكضِ إلى جانِبي، وتشجيعي كلَّما أحسستُ بالخوفِ.

وذاتَ يومٍ، توقَّفَ كريمٌ عَنِ الرَّكضِ إلى



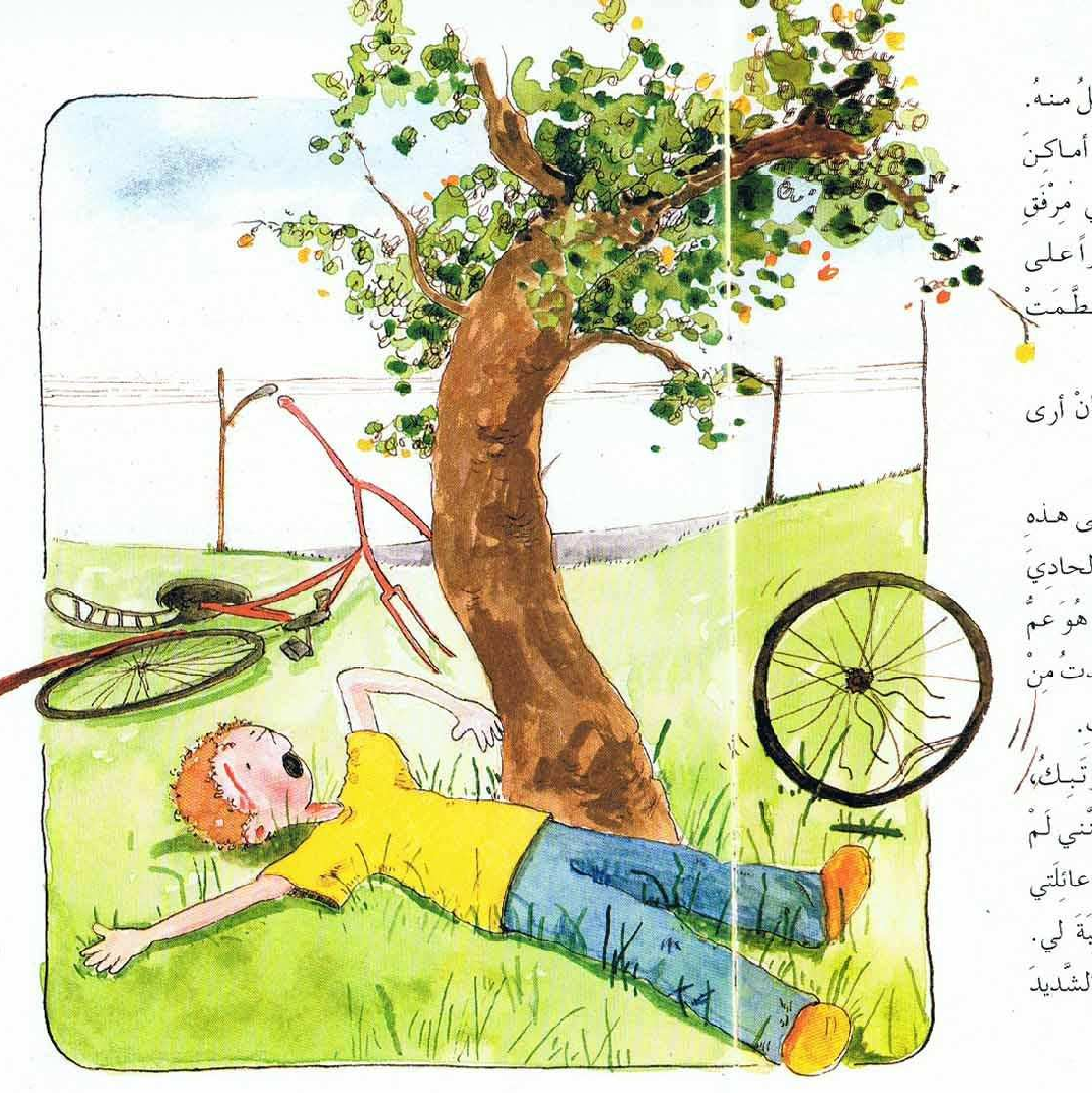
جانبي، وتركني مُنطلِقاً وحدي، فأحسستُ بالذُّعر، وناديتُهُ للّحاقِ بي، فلمْ يفعلْ.

وحثَّني على المُتابعةِ، وهوَ يرشُقُني بعباراتِ التَّشجيعِ والاستحسانِ. تاركاً إيَّايَ سريعاً وأنا أشعُرُ بمزيجٍ عجيبٍ مِنْ مشاعرِ الفرحِ والخوفِ الشَّديدَينِ.

بلغتِ الدَّرَّاجةُ بي مُنْحَدراً منَ الطريقِ، فارتعبْتُ وأحسستُ بأنَّني غيرُ قادرٍ على السَّيطرةِ عليها.. وبدلَ أنْ أستخدمَ الفراملَ لإيقافِها، رُحتُ أُديرُ المِقودَ مرَّةً نحوَ اليمينِ، ومرَّةً نحوَ الشِّمالِ، فتنحرِفُ بي انحرافاً حادّاً باتجاه طرفَيْ الطَّريقِ.

كانَ كريمٌ يركضُ خلفي، وكانتِ المسافةُ بيني وبينَهُ تتزايدُ باستمرارٍ، ثمَّ سمعتُهُ يُناديني مذعوراً كيْ أتوقَّفَ، فضغطتُ على الفراملِ بقوَّةٍ، فانحرفَتِ الدَّرَّاجةُ بي نحوَ اليسارِ، ووجدتُ نفسي أندفعُ نحوَ الشَّجرةِ الضَّخمةِ القائمةِ إلى يسارِ الطَّريقِ، وأرتَطِمُ بجذعها بعُنفٍ!.





شُجَّ جَبيني.. وبدأ الدَّمُ يسيلُ منهُ. وأحسستُ برُضوضٍ مؤلِمةٍ في أماكنَ مُتعددةٍ من جسمي.. خُصوصاً في مِرفَقِ يَدي اليُسْرى الَّتي لَمْ أعُدْ قادراً على تحريكِها. أمَّا الدَّرَّاجةُ فقدْ تحطَّمَتْ عجلَتُها الأماميَّةُ.

ومنذُ ذلكَ الوقتِ، لَمْ أعُدْ أُطيقُ أنْ أرى درَّاجةً أوْ أسمعَ باسمِها!.

كانَتْ قدْ مضتْ ستَّةُ أشهُرٍ على هذهِ الحادِثَةِ، عنْدَما حلَّ عيدُ ميلادي الحاديَ عشرَ، فأهداني عمِّي مصطفى، الَّذي هُوَ عمُّ كريمٍ أيضاً، درَّاجةً مِنْ أجمَلِ ما شاهدتُ مِنْ درَّاجاتٍ في الأسواقِ، وفي الطُّرقاتِ.

فاجأَتْني الهديَّةُ، وجعلَتْني أرتَبِكُ، وفكَّرْتُ بأنْ أرفُضَ استِلامَها، لكنَّني لَمْ أجِدْ ذلكَ لائقاً. وانتبهَ سائرُ أفرادِ عائلَتي أيْضاً إلى أنَّها ليسَت الهديَّةَ المُناسبَةَ لي. ومعَ ذلكَ فقدْ أعْلنَّا جميعاً إعجابَنا الشَّديدَ بهديَّةِ عَمِّي.

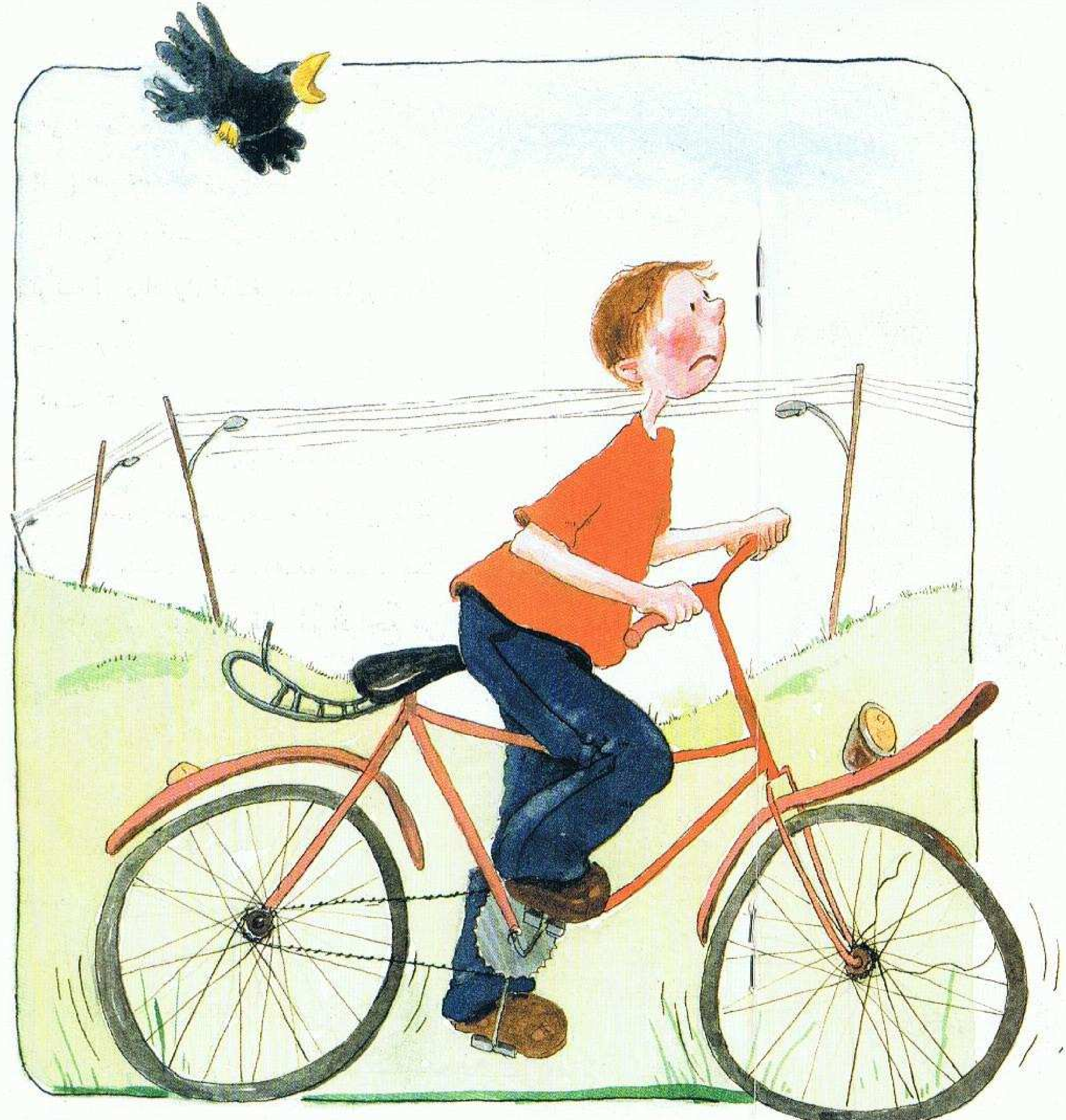


فقدْ كانَتْ بالفعلِ درَّاجةً باهرةَ الجمالِ، ومنْ طرازٍ لَمْ أُشاهِدْ مثلَهُ منْ قبلُ.

قُدْتُ الدَّرَّاجةَ إلى غُرفتي، وركَنْتُها في إحدى الزَّوايا. وأنا أعرِفُ أنّي لَنْ استعملَها أبداً..

كانَ هيكلُ الدَّرَّاجةِ أزرقَ اللَّونِ، ومُرقَّطاً بخُطوطٍ حمراءَ وصفراءَ، وكانَتْ قَبْضَتا المقْوَدِ مُغلَّفتينِ بالمطّاطِ الأبيضِ، وكذلكَ الدَّوَّاستانِ، وكانَ محْوَرا العجلتينِ، الأماميَّةِ والخلفيَّةِ، مَطْلِيَّيْنِ بلونٍ ذهبيٍّ خلاَّبٍ، وكانَ المقعدُ مُغلَّفاً بجِلْدٍ أملسَ شبيهٍ بجلْدِ الأفعى.

سكنتِ الدَّرَّاجةُ في زاويةِ غُرْفَتي بِلا حراكٍ. مثْلُها مثْلُ المكتبةِ والطَّاولةِ والمقْعَدِ والسَّريرِ، ولَمْ أفكِّرْ بقيادتِها أبداً، لأنَّ التَّفكيرَ بذلكَ كانَ يقودُني إلى التَّفكيرِ بالحادثِ المُرِّ الَّذي حدثَ لي معَ درَّاجَةِ كريمٍ، والَّذي لا تزالُ آثارُهُ باديَةً على جبيني.



بلى، كانَ يَحْدُثُ لي أحياناً في أحلامِ نَوْمي، أنْ أرى نَفْسي أقودُ الدَّرَّاجةَ مِنْ دونِ وقوعِ حوادِثَ، ومرَّةً حَلمْتُ أنَّني أطيرُ بها في الهواءِ! وكُنْتُ كلَّما استيقظْتُ أشعرُ بالرَّغبةِ في قيادتِها، فأكتفي بجرِّها بِيَدي في أنحاءِ الغُرفةِ.

كنتُ أشاهدُ، مِنْ حينٍ لآخرَ، ابنَ عمِّي كريماً على درَّاجتِهِ الَّتي أصبحَتْ قديمةً وباليةً، ومُزْريةَ المنظرِ بعدَ حادثِ ارتطامِها بالشَّجرةِ. وكنتُ كلَّما شاهدتُهُ عليها، أُفكِّرُ بأنْ أُهديَهُ درَّاجَتي الزَّرقاءَ، ثمَّ أتراجَعُ عَنْ ذلكَ، لأنَّني كُنْتُ قَدْ بدأتُ أتعلَّقُ بدرَّاجتي مُكْتفياً بوُجودِها كمشهدٍ جميلٍ في غُرفتي.

وحدثَ ذاتَ يومٍ أنْ زارَني كريمٌ في بيتي، وعندما شاهدَ درَّاجَتي الزَّرقاءَ فغرَ فاهُ دهشةً، وتعجَّبَ مِنْ كونِهِ لَمْ يرها معي مِنْ قبلُ.. وأثناءَ حديثِنا معاً، ذكَّرني كريمٌ بعيدِ ميلادِهِ الَّذي يُصادفُ بعدَ أسبوعٍ، فوجدتُ نفسي أتَّجهُ إلى الدَّرَّاجةِ، وأجرُّها نحوَهُ،

وأقولُ: هذه الدَّرَّاجةُ ستكونُ هديَّتي لكَ في عيدِ ميلادكَ. طارَ كريمٌ فرَحاً في الوقتِ الَّذي شعرتُ فيه أنا بكآبةٍ عميقة.

بعدَ هذا اللِّقاء، ازدادَ تعلُّقي بدرَّاجَتي، وبدأتْ تظهرُ لي أكثرَ جَمالاً. وأخذَ حُزْني يشتدُّ معَ اقترابِ موعدِ فراقي لها.

لَمْ يكُنْ قدْ بَقيَ سوى ثلاثةِ أيَّامٍ على موعدِ عيدِ ميلادِ كريمٍ، عندما اتَّجهتُ بعدَ نُهوضي مِنَ النَّومِ إلى الدَّرَّاجةِ السَّاكنةِ في الزَّاويةِ، ورُحْتُ أتحسَّسُها بيدي وعندما لاحظتُ أنَّ طبقةً مِنَ الغُبارِ تَراكَمَتْ عليها، أتيتُ بخرْقَةٍ مبلولةٍ بالماءِ، ومسحْتُ جميعَ أجزائها فازدادتْ ألَقاً.. وبدلاً مِنْ أنْ أجُرَّها بيدي في أنحاءِ الغرفةِ كما اعْتَدْتُ أنْ أفعلَ، وجدتُ نفسي أُسْندُها إلى الحائطِ ثمَّ أجلسُ فوقَ كرسيِّها، وأدْفَعُها إلى الأمامِ بمُحاذاةِ الحائطِ، وأدورُ بِها دوراتٍ عِدَّةً في مُحيطِ الغرفةِ.



كُنْتُ قدْ صمَّمتُ، وبشيءٍ منَ التَّحدِّي، على قيادةِ الدَّرَّاجة قبلَ فُقْداني النِّهائيِّ لها.. وفي مُحاوَلاتي التَّاليةِ لقيادتِها، لَمْ أَعُدْ أستعينُ بالجدارِ، بلْ رُحْتُ أدورُ بِها في وسطِ الغرفةِ. نَجَحْتُ في ذلكَ نجاحاً لَمْ أكُنْ أتوقَّعُهُ، وشعرْتُ بأنَّني قادرٌ على التَّحكُّمِ بها منْ دونِ خوفٍ منَ السُّقوطِ، وخرجتُ منَ الغرفةِ، وقُدْتُها في الممرِّ الطَّويلِ الَّذي يفصلُ بينَ غُرَفِ بيتِنا.. وفي اليومِ التَّالي خرجتُ بِها إلى الحديقةِ، وسرْتُ في الممرِّ المُغَطَّى بالإسمنتِ الَّذي يمتدُّ منْ أوَّلِ الحديقةِ إلى آخرِها، وكرَّرتُ ذلكَ ذَهاباً وإياباً لوَقْتٍ طويلٍ.

والغريبُ في الأمرِ، أنَّ أحداً منْ أهْلي لَمْ يَأبَهْ لكَوْني أقودُ الدَّرَّاجةَ، فَلَدى مُشاهَدَتِهِم لي كانوا يتصرَّفونَ بلا مُبالاةٍ، فشجَّعَني ذلكَ على تجاوُزِ بوَّابةِ البيتِ الخارجيَّةِ إلى الميدانِ الفسيحِ الَّذي يمتدُّ خارجَها، حيثُ رُحْتُ أستعرِضُ مَهارَتي في القِيادةِ بلا حذَرٍ.





رُحْتُ أُسْرِعُ وأُبْطِئُ، وأنحرِفُ انحرافاتٍ حادَّةً إلى اليمينِ واليسارِ، واستعمِلُ الفراملَ مِنْ دونِ أنْ يَحْدُثَ شيءٌ غيرُ طبيعيٍّ.

ها أنا أخيراً، وقبلَ يَوْمٍ واحدٍ على موعِدِ عيدِ ميلادِ كريمٍ، أشعرُ بأنَّني أقودُ الدَّرَّاجةَ بِشَكْلٍ طبيعيٍّ، وكما يُمْكِنُ أنْ يَقودَها أيُّ إنسانٍ، حتى أنني مررت بالشجرة ولم أصطدم بها كما فعلت أول مرَّة..

هذا النَّجاحُ جَعَلَني أزدادُ تعلُّقاً بدرَّاجتي الزَّرقاءِ حتَّى لَمْ أعُدْ قادراً على التَّخلِّي عَنْها. فماذا أفعَلُ؟ هلْ أنْكُثُ بالوَعْدِ الَّذي قطعتُهُ لِكريمٍ، وأُقدِّمُ لَهُ بَدَلَ الدَّرَّاجةِ هديَّةً أُخْرى؟ لا. لا يجوزُ ذلكَ. فهوَ ينتظِرُ بفارِغِ الصَّبرِ، اللَّحظةَ الَّتي سأقدِّمُ لَهُ فيها درَّاجتَي، وإذا ذهبتُ إليهِ بهديةٍ غيرِها فسأُفْسِدُ عليهِ الاحتفالَ بعيدِ ميلادِهِ. آه لَوْ أستطيعُ أنْ أشتَريَ لَهُ درَّاجةً مِثْلَها.. ولكنَّني لا أمْلِكُ مِنَ المالِ جُزءاً بسيطاً مِنْ ثمنِ الدَّرَّاجةِ. ولَمْ يَكُنْ أبي في وضعٍ ماديٍّ يسمحُ لي بمُطالبتِهِ

بشراءِ درّاجةٍ كدرّاجتي.

في اليومِ التّالي، وقبلَ ساعةٍ من التّوجُّه إلى بيتِ كريم، شعرتُ بغُصّةٍ عالقةٍ كالحجرِ في حلْقي، وأنا آخذُ الدّرّاجةَ منَ الزّاويةِ، وأمسحُها بالماءِ، فتزدادُ تألُّقاً وجمالاً.

قُدْتُ الدّرّاجةَ إلى باحةِ البيتِ الخارجيّةِ، ولَمْ أكَدْ أصِلُ إلى هناكَ، حتّى برزتْ عندَ طرفِ الحديقةِ سيّارةُ عمّي مصطفى الّذي جاءَ ليَصْطَحِبَني معَ أبي وأختي إلى بيتِ كريم.

أسرعْتُ لاستقبالِهِ، وعندما ترجّلَ منْ سيّارتِهِ، نظرَ إلى درّاجتي الّتي كُنْتُ أجُرُّها بيَدي وقالَ: ما هذا؟ درّاجتُكَ لا تزالُ جديدةً! لا بُدَّ أنّكَ تعتني بها جيّداً. فقلتُ: الدّرّاجةُ لَمْ تَعُدْ لي.

فسألَ عمّي بدَهْشَةٍ: لماذا؟ هَلْ بِعْتَها؟!

- قرّرتُ أنْ أُهْديَها لكريم.

- تُهْدي درّاجتكَ لكريم؟! لماذا لا تُهْديهِ شيئاً آخرَ؟





- لقدْ أعجبَتْهُ درَّاجَتي فقرَّرتُ أنْ أُهْدِيَها لَهُ.
- لَوْ أنَّكَ أخبرْتَني بهذا الأمرِ لَوَفَّرْتَ عَليَّ ثمنَ درَّاجةٍ؟
- وكيفَ ذلكَ؟
- لقدْ شاهدتُ منذُ أسبوعٍ درَّاجةَ كريمٍ العتيقةَ الباليةَ فأردتُ أنْ أُهْدِيَهُ في عيدِ ميلادهِ درَّاجةً مثلَ درَّاجَتكَ.

واتَّجهَ عمِّي إلى صُنْدوقِ سيَّارتِهِ ونقرَ عليهِ بأصبعهِ وقالَ: الدَّرَّاجةُ موجودةٌ هُنا في صُنْدوقِ السَّيَّارة.

لَمْ أُصَدِّقْ ما سَمِعْتُهُ مِنْ عمِّي، فهتفتُ بفرَحٍ: هَلْ أستطيعُ أنْ أراها؟

وسبقتُ عمِّي إلى صُنْدوقِ سيَّارتِهِ الخلفيِّ. وعِنْدَما فتحَ الصُّنْدوقَ، شاهدتُ هُناكَ درَّاجةً زرقاءَ مثلَ درَّاجَتي تماماً فَقُلْتُ: لا يجوزُ أنْ نُهْدِيَ كَريماً هديَّتَيْنِ مُتَشابِهَتَيْنِ. فما العملُ؟

قالَ عمِّي: ينبغي أنْ يتراجَعَ أحدُنا عَنْ هديَّتِهِ، ويستبدلَ بِها هديَّةً أُخْرَى. ثمَّ صمتَ

لحظةً وقالَ: إسمَعْ.. إذا كنتَ مُصَمِّماً على إهداءِ درّاجتكَ لكريمٍ فسأتراجَعُ أنا عَنْ هَديَّتي.

- لا. لا. لا يجوزُ أنْ تتراجَعَ أنتَ عَنْ هديّتِكَ.. بَلْ أنا الّذي سأتراجَعُ..

- وماذا تَنْوي أنْ تُهْدِيَ كريماً بدلَ الدَّرَّاجةِ؟

- سَمِعْتُ كريماً يقولُ لبعضِ أصحابنا في المدرسةِ إنَّهُ يُفَضِّلُ الهدايا الَّتي تُؤكَلُ على الهدايا الَّتي لا تُؤْكَلُ! وسأُهديهُ قالَبَ حلوى ضخماً.. ومِنَ النَّوعِ الّذي يُحبُّهُ. وهكذا كانَ..

مكثَتِ الدَّرَّاجةِ الَّتي جاءَ بها عَمّي قابعَةً في صُندوقِ سيّارتِهِ، وعُدْتُ بدرَّاجَتي إلى الزَّاويَةِ المُخصَّصةِ لَها في غُرْفَتي.

رَكَنْتُها في زاوِيَتِها بهُدوءٍ. وقبلَ أنْ أغادرَ الغرفَةَ، نظرْتُ إليها وابتسَمْتُ، فَبَدا لي وكأنَّها تُبادلُني الإبتسامَةَ نفسَها! ودُهِشْتُ في تِلْكَ اللَّحظةِ عِنْدَما اكتشفْتُ كيفَ أنَّنا يُمْكِنُ أنْ نُحبَّ بعضَ الأشياءِ بالقوَّةِ نَفْسِها الَّتي نُحبُّ بِها بعضَ النَّاسِ!!.



الدراجة الزرقاء

قصة: حسن عبد الله

رسوم: حسان زهر الدين

